كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها

تأليف: عَرّام بن الأَصْبَغ السُّلَمي، المتوفى سنة ٢٧٥هـ = ٨٨٨م.

نُشر ضمن مجموعة نوادر المخطوطات، جمع وتحقيق عبد السلام هارون.

١ ـ قال: رَضْوَى؛ على ليلتين من البحر، وعدُّها من ينبع على يوم، ثم قال: وبحذائها (عَزْور)، وبينه وبين رضوى طريق المُعْرِقة، تختصره إلى الشام.. إلى قوله: بين الجبلين قدر شوط فرس.

قلت: معظم أقوال عَرّام خطأ، منها فنَّدته في (معجم معالم الحجاز)، ولكن الإفراد هنا أليق بهذه الرسالة، وحقيقة أن عراماً رغم أنه سُلمي، إلّا أنه وُلد ونشأ ببلاد ما يعرف اليوم بإيران، ولكن العرب آنذاك كانوا قد امتهنوا الرواية، وكان يفد عليه من يفد فيستروبهم، فكان الراوي منهم يُصيب في بلده الخاص، وإذا ابتعد وَهِمَ وخلط، ويكتبها عرّام الذي لا يعرف هذه الديار، على أنها حقائق يرويها الحجازيون.

وفي ما تقدم:

أ ـ رضوى: جبل شاهق مطل على البحر، لعله على أقل من ليلة[١]، أما عن ينبع، والمقصود هنا ينبع النخل، لأن ينبع البحر لم تنشأ إلّا بعد ذلك بقرون.

أقول: وأنت في إحدى قرى ينبع تستطيع أن تكلم من هو على نعوف جبل رضوى، فلا يوم ولا ساعة.

ب ـ قوله: وبحذائها عَزْور، وبينه وبين رضوى طريق المُعرِقة. وَهِم من أملاه ذلك، فبين رضوى وعزور نحو مائة وثمانين كيلاً، عزور حرة تكاد تشرف على رابغ من مطلع الشمس[١].

(١) معجم معالم الحجاز.

جـ ـ قوله: طريق المعرقة. المعرقة القوافل الذاهبة إلى العراق، ومنها طريق يفرق إلى الشام، ولكن لا صلة لهذه لا برضوى ولا بعزور، لأنها تخرج من مكة معرقة، أي باتجاه العراق، وهذه الطريق لا صلة لها بينبع أو رابغ، أما المعرقة من المدينة فمن باب أولى، فإنها تجعل رضوى وعزور إلى ظهرها.

٢ ـ قال: وفي الجبلين مياه وأوشال.

قلت: في رضوى، نعم، أما عزور فَحرّة جدباء ليست عالية الارتفاع يعلوها المال ورعاة المال، لا ميزة لها عما جاورها، أنا أعرف ذلك بالمشاهدة.

٣ ـ ثم يقول: ويصب الجبلان في وادي (غَيْقَة).

قلت: أبعد النجعة من روى له هذا، فغيقة: وادٍ على يسار العامد من رضوى إلى عزور، لعله على قرابة مائة وعشرة أكيال من رضوى، وعلى مثلها من عزور، هي جنوباً من رضوى وشمالاً من عزور.

٤ ـ قال: وعن يمين رضوى لمن كان منحدراً من المدينة إلى البحر على ليلة من رضوى (ينبع).

قلت: هذا القول فيه:

أ ـ سبق تحديد رضوى بالنسبة إلى ينبع وأنهما متلاصقان.

ب ـ ينبع عن يسار رضوى للمتجه منحدراً مع الوادي إلى البحر، وليس عن يمينه، وقفت على ذلك وشاهدته بعيني.

جـ ـ قوله: وهي قرية كبيرة.

ينبع وادٍ كبير به قرى عديدة، وكان في زمن عرام به كثير من العيون، بعث بعضها علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

٥ ـ قال: واديها يَلْيَل ـ أي ينبع ـ.

قلت: بل الوادي اسمه ينبع، أما يليل فبعيد من هنا، هو وادي الصفراء إذا صار عند بَدْر سمي يليل، قديماً.

ثم قال: يصب في غيقة[١]:

(أيها المنكح الثريا سهيلاً)

(١) معجم معالم الحجاز، على طريق الهجرة، قلب الحجاز.

٦ ـ قال: والصَّفْراء: قرية كثيرة النخل، وهي فوق ينبع مما يلي المدينة، وماؤها يجري إلى البحر.. ورضوى ناحية مغيب الشمس.

قلت: في قوله هذا:

أ ـ قوله: وهي فوق ينبع مما يلي المدينة.

غرَّه أن الطريق إلى ينبع يمر بوادي الصفراء، لأن ما بين ينبع والمدينة جبال لا يمكن اختراقها، وإلّا فإن وادي الصفراء وينبع يتباريان من الجبل إلى البحر، وبينهما نحو ٩٠ كيلاً.

ب ـ قوله: وماؤها يجرى إلى ينبع. وَهْمٌ يفنّده الوصف الآنف.

جـ ـ قال المحقق ـ ذيلاً ـ: وقد يقال لها: (الصفيراء)، واستشهد بقول غاسل بن غُزَيَّة.

قلت: الصفيراء غير الصفراء، فالصفيراء رافدٌ من روافد وادي الصفراء.

أما شعر ابن غُزَيَّة، فليس على هذه الديار، انظر الكلام على هذا الرسم في (معجم معالم الحجاز).

٧ ـ يذكر ثافلاً الأكبر وثافلاً الأصغر، ثم يقول: وبينهما وبين رضوى وعزور ليلتان.

قلت:

أ ـ ذكرنا فيما تقدم أن رضوى وعزور لا يتقاربان.

ب ـ ثافل الأكبر يسمى اليوم جبل صبح، قبيلة من حرب، ويسمى ثافل الأصغر جبل بني أيوب، قبيلة من حرب[1] أيضاً، وهما جبلان شامخان يطلان على الساحل، إذا خرجت من بَدْر تؤم مكة، كانا على يسارك رؤية العين، يحف بهما من الشمال وادي غيقة، ومن اليمين وادي الأبواء.

٨ ـ يُعدِّد نبات هذه الديار، فيقول: وللتنضب ثمر يقال له: الهُمْقِع يشبه المشمش يؤكل طيباً، وللسرح ثمر يقال له: (ألآء) يشبه الموز وأطيب منه.

قلت: شر البلية ما يضحك!

أعتقد أن راوي عرّام كان يهزأ به، فأما التنضب ـ في تهامة ـ فله ثمر برتقالي اللون كالنبق، لا يأكله أحد، وقد حاولت وأنا صغير أن أطعمه

(١) انظر عنهما: نسب حرب.

فوجدته كريه الطعم، والتنضب لا يألفه إلّا طائر الشُّوَّل، وهو طير كريه لا يؤكل لحمه. أما السرح، فله ثمر كالحبوب لا يكون له طعم ولا يأكله أحد، إنما التنضب والسرح شجرتان يستفاد من ظلهما الظليل عندما تحتر الشمس في تهامة.

٩ ـ علق المحقق على ذكر عرام هذا الشجر، فقال: والصواب عندنا قول عرام لأنه بدوي من تلك البلاد.

قلت: إن عراماً، كما قدمنا، من العرب الذين نزح أجدادهم إلى البلاد المفتوحة، وإنما كان يستروي ممن كانوا يرتزقون بالرواية.

١٠ ـ ص٤٣١ من المجموع، قال: وفي ثافل الأكبر عدة آبار في بطن وادٍ يقال له: (يَرْثَد) وفي ثافل الأصغر ماء في دوار يقال له: القاحة.

قلت: في هذا:

أ ـ يرثد، وكان الأشهر (أَرْثَد). قال فيه بعضهم:

ألم نسألِ الخيمات من بطنِ أَرْثَد ... إلى النخل من ودَّانِ ما فعلتْ نعمُ

فأرثد الجزء الأسفل من وادي الأبواء، وودّان كانت مدينة على الجانب الأيسر من وادي الأبواء عند بداية الجزء المعروف بأرثد قديماً، ويعرف اليوم بوادي مستورة، والقريب منه من الثافلَيْن هو ثافل الأصغر، المطل على وادي الأبواء من الشمال، أما ثافل الأكبر فبعيد عن أرثد.

ب ـ قوله: وفي ثافل الأصغر ماء في دوار يقال له: (القاحة).

هذا ينطبق على ثافل الأكبر لا على الأصغر.

جـ ـ القاحة وادٍ من أودية الحجاز التهامية، أوفيته البحث في كتابي (قلب الحجاز) وكلا الثافلين يشرف على القاحة من الغرب[1].

١٠ ـ بنفس الصفحة، قال: وهما جبلان شامخان، وبينهما وبين رضوى وعزور سبع مراحل.

قلت: اتسع الوهم، فالذي بين يمانيهما (ثافل الأصغر) وبين عزور مرحلة ليست قصيرة، وبين شآميهما ورضوى ثلاث مراحل متوسطة.

(١) على طريق الهجرة.

١١ ـ بنفس الصفحة، قال: ولمن صدر من المدينة مصعداً(١)، أول جبل يلقاه عن يساره (ورقان)، وهو جبل أسود كأعظم ما يكون من الجبال.

قلت: في قوله هذا:

أ ـ بل يلقى إلى يساره جبال كثيرة قبل ورقان، منها (جبل عَيْر) أسود بارز، ثم (حمراء نمل) جبلة حمراء، متوسطة الارتفاع، وأجبل كثيرة أخرى.

ب ـ ورقان: ليس أسود، فهو إلى البياض أقرب، أشعل أشقر جميل المنظر، ولأهل الديار فيه أهازيج ومدائح، ثم إنه ليس أعظم جبال الحجاز، فهناك جبال أعلى منه وأعرض، مثل: جبل الأشعر الذي لم يذكره عرام، وقدس الأبيض وغيرهما.

١٢ ـ روايته في شجر وَرِقَان منكرة جداً.

١٣ ـ ص٤٣٢، من المجموعة قال: وبسفحه من عن يمين، أي السائر إلى مكة: سَيَالة ثم الروحاء، ثم الرويثة، ثم الجي، ويعلو بينه وبين قدس عقبة يقال لها: ركوبة.

قلت: ليست السيالة ولا الرويثة بسفح ورقان، ولكنه يُرى من كل منهما. وعقبة ركوبة في قدس الأبيض مما يلي ورقان، فهي ليست بينهما إلا تجوُّزاً.

١٤ ـ يتحدث عن جبلي قدس الأبيض والأسود، ثم يقول: ويقابلهما من غير الطريق جبلان يقال لهما: (نَهْبان) نهب الأسفل ونهب الأعلى.

قلت: لم أعثر على هذه في تجوالي في تلك الديار وما وجدت من سمع بهما، ولكن الذي يقابل القدسين من مغيب الشمس هما جبلا ثافل المتقدم، فقدس الأبيض ترى منه ثافلاً الأكبر، وبينما وادي القاحة، وكل هذه الجبال تمتد من الشمال إلى الجنوب. فلعل نهبان هما ثافلان، وإن الوهم جاء من أحد الرواة، ولمعرفتي الميدانية لهذه الديار لا مخرج لهذه الرواية غير هذا.

أما قوله: (من غير الطريق) فلا شك أنه تصحيف لغرب الطريق.

فإذاً: جبل نهب الأعلى هو ثافل الأكبر، ونهب الأسفل هو ثافل الأصغر، ولا توجد جبال غيرهما ينطبق عليها الوصف.

(١) يعني على طريق مكة، وهو ليس مصعداً، إذ موقع المدينة أعلى من موقع مكة.

١٥ ـ ص٤٣٣: في هذه الناحية يذكر (ذا خِيَمي) ويعلق المحقق بوجوده عند أكثر المتقدمين(١).

وأقول: كل المتقدمين نقلوا هذا عن عرام، أما اليوم فهذه الأسماء غالبها غير معروف. ولاحظ أن عرّاماً توفي سنة ٢٧٥هـ، أي في أول عهد التدوين، وكل من جاء بعده عنه نقل!، مع ملاحظة أن جميع القبائل التي قال عرام إنهم من سكان هذه الناحية، قد ذهبوا وليس بين المدينة ومكة اليوم غير قبيلة حرب الخولانية(٢).

١٦ ـ ص٤٣٤: ووادي العرج يقال له: (مَسيحة).

قلت: مسيحة المعروفة بعيدة من هنا، فهي شرق عسفان، وسيأتي ذكرها عند عرام فيما يتبع، إلّا أن يكون اسم على اسم، وليس يعرف اليوم.

١٧ ـ ص٤٣٤ ـ أيضاً ـ قال: ومن يسار الطريق مقابلاً قدساً جبل يقال له: (آرة).

قلت: وصف آرة وقراه صحيح، غير أن واديه وادي الفُرَع كله اليوم لبني عمرو من حرب، وأم العيال للبلادية خاصة.

ثم يقول: ومنها ـ أي قرى حول آرة ـ قرية يقال لها: خَضِرة.

قلت: خضرة بعيدة من هنا(٣).

١٨ ـ قال: عن القرى حول آرة: وواديها ـ وادي الفرع ـ يصب في الأبواء، ثم في وَدَّان، وهي قرية من أمهات القرى لضمرة وكنانة... إلخ.

قلت: اندثرت ودان من زمن بعيد، وتغير السكان، فهي اليوم من ديار حرب.

١٩ ـ ص٤٣٦: يذكر أماكن في شعر أبي المزاحم، حيث يقول:

فإن بخلص فالبريراء فالحشا   فوكد إلى النقعاء من وَبِعان

قلت: لا يعرف ـ اليوم ـ من هذه المسميات غير خلص(٣)، والبُرَيراء انظرها بعد هذا.

٢٠ ـ ص٤٣٧ : ثم يتصل بخلص آرة ذَرَة(٣)، وهي جبال كثيرة.

(١) انظره في: معجم معالم الحجاز. (٢) نسب حرب.

(٣) انظر: معجم معالم الحجاز، خضرة.

قلت: ذَرَة: حَرَّة سوداء ذات قُرَى مستوٍ، تسيل منها أودية عظام منها وادي رابغ، وغيره، وقد توسَّطها اليوم الطريق السريع المزفَّت المسمى طريق الهجرة، وليس هو بطريق الهجرة، لا زالت ذَرَة تعرف باسمها، وبينها وبين خلص مسافة[1].

٢١ ـ أما قول عرّام في نباتات الحجاز فهو غير محقق، وأعتقد أن الذي روى له ليس خبيراً في نبات البادية!

٢٢ ـ قال: ويطيف بذرة قرية يقال لها: (جَبَلة).

قلت: جبلة قرية معروفة، ولكن ذرة حرة طويلة عريضة[1]، فأيهما تطيف بالأخرى؟! على أن التقارب بينهما مجازي، والأصح البعد.

٢٣ ـ ص٤٣٨: ذكر شرقي ذَرَة قرية يقال لها: (القعرة)، وقرية يقال لها: الشَّرْع.

قلت: القعرة وتجمع اليوم فيقال: القعور، بعيدة عن ذرة جنوباً، فهي على وادٍ يصب في وادي ساية من يساره، وتقع القعور بجانب شمنصير اليماني، ولها اليوم طريق إلى مكة رأساً لا يمر على ساية ولا عسفان، إنما يمر على مدركة والهدة.. إلخ. أما قرية الشرع، فهي في وادي الشرع الذي يتوسط ذرة نفسها.

٢٤ ـ ثم يقول: بأسفله قرية يقال لها: (ضرعاء).

قلت: ضرعاء، بين رهاط والقعور، المتقدم ذكرها.

٢٥ ـ يقول: ثم يتصل بها شمنصِير ـ يعني ضرعاء ـ وهو جبل ململم لم يعلُه أحد قط.

قلت: هو جبل ضخم على نحو (١٦٠) كيلاً من مكة شمالاً شرقياً، ولعل المسافة أبعد من هذه، تسيل منه أودية فحول، هي أكبر روافد ساية وغُرَان، أما القول إن أحداً لم يعلُه فهو وهم، فالرعاة يعلونه ويرون زرقة البحر من قمته، وهو اليوم لبني سُليم كله.

٢٦ ـ ص٤٣٩، يقول: ويطيف بشمنصير من القُرى قرية يقال لها رهاط

(١) انظر: معجم معالم الحجاز، خضرة.

وهي بوادٍ يسمى (غُرَان).

قلت: كلمة تطيف لا معنى لها، والمكانان، رهاط وغران، حددتهما في (معجم معالم الحجاز وفي قلب الحجاز).

٢٧ ـ البُرَيْرَاء المتقدمة: بضم الباء الموحدة الأولى، وبالمد والتصغير[1]، وهي التي يقول فيها الشاعر:

فإن بخَلْصٍ فالبُرَيْراء فالحشا ... فَوكْدٍ إلى النهيبين[2] من وبعانِ
جواري من حيٍّ عداءٍ كأنها ... مها الرمل ذي الأزواج، غير عوانِ
جُنِنَّ جنوناً من بعول كأنها ... قرود تنادي[3] في رياط يمانِ

ويقول ياقوت: من أسماء جبال بني سُلَيم بن منصور.

قلت: سألت شيخاً من العرادات من البلادية من حرب، عن البُرَيراء، فقال: هي ردهة وهُضَيبة على يسار وادي الأكحل، وهو رأس وادي مَرّ «وادي رابغ» قبل التقائه بوادي حجر، أي إنها بين الأكحل وحجر في تلك المنطقة الجبلية، على قرابة (١٢٠) كيلاً شرق رابغ، وهي اليوم لأسلم من حرب، وكانت هذه ديار بني سليم، وخلص شماليها الغربي، وقد ذكر. وسألته عن الحشا ووكد ووبعان، فما عرفها.

٢٨ ـ ص٤٤٠ من المجموعة، قال: وبغربيه قرية يقال لها: (الحُدَيبية) وبحذائها جبل يقال له: ضعاضع.

قلت: وقوله بغربيه، يقصد شمنصيراً أو غراناً وليس صحيحاً، فالحُدَيبيَّة بعيدة من كل منهما، فهي غرب مكة على نحو (٢٠) كيلاً، على الطريق القديم إلى جُدَّة[4].

أما ضعاضع فلعله قيل لعرّام: (بين جبال ضعاضع) صغار، فظن أنه اسم جبل، ولا يعرف هنا جبل باسم ضعاضع.

(١) عن معجم معالم الحجاز.
(٢) قال هنا: النهيبين، ولم يقل: النهبين، فلعلَّ جبلي نهب الأعلى والأسفل، صوابهما النهيبين، أي الواديين الواسعين، وأنهما ليسا جبلين كما تقدم.
(٣) يروى (تنازا). (٤) معجم معالم الحجاز.

٢٩ ـ ص٤٤٠ ـ أيضاً ـ يقول: فهؤلاء القُريّات لسعد وبني مسروح...، ولهذيل فيها شيء، ولفَهْم أيضاً... إلخ.

قلت: شمنصير وغران، كانت لمسروح وهُذَيل، وربما بعض سُلَيم، أما بني سعد فهم بعيدون من هنا، أما فَهْم فأبعد، لأن ديارهم جنوب شرقي مكة، وهذه الأماكن شمال مكة.

ومسروح الواردة هنا، يأتي ذكرها في تلك الحقبة وما بعدها، ولم أر من صرَّح بأنه مسروح حرب، ولا من صرَّح أنها من غير حرب، وعلى كل حال لا تُعرف اليوم قبيلة بهذا الاسم إلّا مسروح التي هي شطر قبيلة حرب الخولانية.

٣٠ ـ ص٤٤١، بعد أن يذكر أعلاماً كثيرة، يقول: وفيها ـ يقصد هرشَى ـ متوسطاً الخبت جبيل أسود شديد السواد يقال له: طفيل. هذا التحديد شمال رابغ. وكل من جاء بعد عرام نقل هذه الرواية، وأعتقد أن هذا إقحام سيء، فطفيل المعروف جنوب مكة يتوسط خبتاً بين يلملم والبحر، ولا يُعرف اسم طفيل حيث روى عرام، ولم أرَ مَنْ ذكره بالمشاهدة، ولا يعرفه أهل تلك الديار.

٣١ ـ ص٤٤٢ يقول: وعلى طريق هرشى بينها وبين الجحفة ثلاثة أودية مسميات، منها: (غَزَال)...

قلت: ليس غزال بين هرشى والجحفة، وليس هو وادٍ، بل ثنية إذا خرجت من عسفان شمالاً صعدت فيها، وبين عسفان والجحفة ثلاث مراحل. قال كُثَيِّر:

قلن عسفان ثم رحن سراعاً　　طالعات عشية من غزال

٣٢ ـ ص٤٤٢ أيضاً، قال: وبأعلى كُلَيّة ـ بين الجحفة وعسفان ـ هذا أجبال ثلاثة صغار منفردات من الجبال يقال لهُنّ: (شنائك).

قلت: أبعد الشيخ المسرى. لقد ترك شنائك وراءه، شعاب تصب في وادي الصفراء عند الروحاء[1]، بينها وبين هذا المكان ست مراحل، أما كلية ـ الوادي ـ ففي صدره جبال كبار، منها: جبل فرسان[1]، وجبال ذِرْوَة،

(١) معجم معالم الحجاز، وقلب الحجاز، وعلى طريق الهجرة.

ومآتي الوادي من حرة ذَرَة. ولا يقال لكُلَيَّة بين الجحفة وعسفان إلّا تجوزاً، فهي تبعد عن الجحفة نصف مرحلة وعن عسفان قريب من ثلاث مراحل.

٣٣ ـ ص٤٤٣، قال: ودون الجحفة على ميل (غدير خُم)[1]... ولا ينبت غير المرخ والثمام والأراك والعُشَر.

قلت: بل ينبت غابات يضلُّ فيها السائر في منتصف النهار، وبه زراعة حسنة ونخل للبلادية من حرب، وعلى الغدير نفسه عقلة من النخل، يتوارثها الأبناء من الآباء.

٣٤ ـ ص٤٤٣ أيضاً، يقول: ثم الشراة، وهو جبل مرتفع شامخ.... إلى آخر الوصف المهلهل.

قلت: اسم الجبل (الشَّرَا) ينطق بالقصر، يشرف على غدير خم من مطلع الشمس، وهو اليوم للبلادية من حرب، وقد نزلنا وسقه وربعنا فيه[2].

ثم يقول: وفيه عقبة تذهب إلى ناحية الحجاز... يقال لها: الخريطة.... ثم يطلع من الشراة على ساية... إلخ.

قلت: لا تعرف الخريطة هنا والشراة، فلعله خلط في ذلك، فالشَّرَاة: الإقليم الذي تقع فيه مدينة معان. الخُرَيطة ـ بالتصغير ـ بين تبوك وضبة، والله أعلم.

٣٥ ـ ص٤٤٤: يذكر (مَهَايع) في وادي ساية، ثم يقول: وأصلها لولد علي بن أبي طالب ﵁.

قلت: مَهَايع لقُرَيش من عهد الجاهلية إلى يومنا هذا.

٣٦ ـ ثم يذكر خيف ذي القَبْر، وخيف سلام.

قلت: لا تعرف هنا هذه الأسماء، وقد رُويت على طريق الحاج العراقي البعيد من هنا.

٣٧ ـ ثم يقول ـ بعد خيف ذي القبر ـ: وأسفل منه (خيف النعم).

قلت: هذا لا يعرف أيضاً.

(١) معلومات وافية عن هذه الناحية في كتابي على طريق الهجرة.
(٢) حصاد الأيام، ج١.

٣٨ ـ ثم يقول: ثم إن فصلت من عُسْفان لقيت البحر، وتذهب عن الجبال.

قلت: هذا غير صحيح البتة، فأنت إذا خرجت من عسفان تؤم مكة:

أ ـ تبتعد عن البحر.

ب ـ تكون الجبال ـ جبال الخشاش ـ عن يمينك، بينك وبين البحر، والجِرَار عن يسارك، وأنت تسير في سهل أفيح نحو (٣٥) كيلاً.

٣٩ ـ ثم يقول ـ الكلام متصل بعسفان ـ: إلا أودية مسمّاة بينه وبين مرّ الظهران، يقال لوادٍ منها: مَسِيحة ووادٍ يقال له: مُدْرَكة. . . منها ماء يقال له: الحديبية. . . إلخ.

قلت:

أ ـ ليست مسيحة ومدركة بين عسفان ومرّ الظهران، بل داخلتان بعيداً عن الطريق. مدركة: رأس وادي الهدة، وسيل الهدة إلى عسفان، ومسيحة: تذهب شمالاً فتصب في غران الذي يمر شمال عسفان، لا علاقة لها بهذا الطريق، وقد روى لي أحد المدرسين، بعد الفراغ من هذا الكتاب، أن مسيحة، مسيحتان: هذه التي ذكرناها وظهيرة لها تصب في مدركة.

ب ـ مدركة: ضَبْطها بالفتح ثم السكون (مَدْرَكَة).

جـ ـ ليست الحديبية مع هؤلاء، وقد تقدم تحديدها.

٤٠ ـ ثم يذكر مرَّ الظهران[1]، فيقول: وهي لأسلم وهُذَيْل، وغاضرة.

قلت: كان مرُّ الظهران: أعلاه لهُذَيل، ووسطه لخزاعة ـ غاضرة من خزاعة ـ وأسفله لكنانة، أما ديار أسلم فبعيدة من هنا، كانت وما زالت شرق رابغ.

٤١ ـ ص٤٤٥، يقول: ثم تؤم مكة منحدراً من ثنية يقال لها: (الجَفْجَف).

قلت: لا تُعرف الجفجف هذه.

ثم يقول: وبنجد في حد مكة، وادٍ يُقال له: تُرَبة، ينصب إلى بستان ابن عامر،... وحواليه من الجبال الشراة، ويسوم، وقِرقِد، ومعدن البرام، وجبلان يقال لهما: شوانان، واحدهم شَوَان.

(١) قلب الحجاز.

قلت: لقد خلط خلطاً يصعب تمحيصه.

أ ـ تربة ليست قريبة من مكة، تبعد عنها (٢٦٠) كيلاً جنوباً شرقياً، ثم ليست هي من حد نجد، ففي شرقيها الخُرْمة ورنية، كلاهما من الحجاز.

ب ـ ثم أين وادي تربة من بستان ابن عامر، ووادي تربة جَلْسِي يصب شرقاً، وبستان ابن عامر غوري في وادي مرّ الظهران.

جـ ـ الشراة، صوابها السراة، بالمهملة.

د ـ يسوم وقِرقِد من وادي نخلة اليمانية غوريان، وتربة كما قدمنا.

هـ ـ معدن البرام، جنوب الطائف، بعيد عن الجميع.

و ـ شوانان: شوان، وادٍ من روافد وادي ساية شمال مكة على نحو (١٧٠) كيلاً. فأين هو مما تقدم.

ثم يُتْبع في روايته: وهذه الجبال كلها لغامد ولخثعم ولسَلول ولسواءة بن عامر ولعَنَزة.

قلت: هذا الخلط بين القبائل مثله بين المعالم التي تقدمت، ولكنَّ أنكره، قوله: ولعَنَزة. فلم تكن عنزة من أهل هذه الديار!

٤٢ ـ ص٤٤٧، قال: والطريق من بستان ابن عامر إلى مكة على (قَفَل)، وقفل: الثنية التي تطلعك على قرن المنازل حيال الطائف تلهزك من عن يسارك وأنت تؤم مكة. . . إلخ.

قلت: هذا فيه:

أ ـ ثنية (قفل)، صوابها (قَفِيل) وهي ليست بين بستان ابن عامر وقرن المنازل، بل هي تأتي قرن المنازل مما يلي الطائف[1].

ب ـ بناءً على هذا التحديد، فإنها ليست لها علاقة بالطريق من بستان ابن عامر إلى مكة، والثنية التي يأخذها الطريق بعد بستان ابن عامر (ابن معمر) هي ثنية (أُرَيك)، على نحو (٣٠) كيلاً من مكة شمالاً شرقياً.

٤٣ ـ ص٤٤٨، قال: ومن جبال مكة...... منها (المشاش) وهو الذي يخرج بعرفات ويتصل إلى مكة.

(١) انظر: معجم معالم الحجاز.

قلت: هذا خطأ، رددت عليه في المعجم، والمشاش يأتي من وراء حنين، مُدَّت عينه إلى مكة محاذية لطريق الحاج العراقي، فلا تصل إلى عرفات ولا إلى ما بينها وبين مكة.

٤٤ ـ ص٤٤٩، قال: و(فُعَيقِعان): قرية فيها مياه وزروع ونخيل وفواكه، وهي اليمانية.

قلت: هذا يؤيد القول إن عراماً ما رأى الحجاز ولا حج، ولو فعل ذلك لعلم أن (قُعيقعان) من أعاظم جبال مكة، وأن الواقف عليه ـ قبل اتساع مكة ـ يمكن أن يصلي مع إمام المسجد الحرام.

ثم يقول: وبين مكة والطائف قرية يقال لها (راسب) لخثعم، والجونة قرية للأنصار، والمعدن معدن البرام.

قلت: في هذا:

أ ـ لا يعرف بين مكة والطائف (راسب والجونة).

ب ـ ليست هذه ديار خثعم، فخثعم وراء الطائف بكثير.

جـ ـ المعدن (معدن البرام): وراء الطائف، بنحو ثلاثين كيلاً جنوباً، في ديار بني سعد.

د ـ الجونة: ربما تكون تصحيف (الحَويَّة) قرب الطائف، عادلة عن الطريق.

٤٥ ـ ص٤٥٠، قال: والطائف ذات مزارع.... وأودية تنصب منها إلى تبالة.

قلت: (من أبعد النجعة يقتله الظمأ!) أين الطائف من تبالة وبينهما عشرات الأودية المعترضة، لقد أنكحت الثريا سهيلاً. وأودية الطائف تنصب إلى السهول الشرقية: ركبة والسي، ووجرة.

ثم يقول: وجُلُّ أهل الطائف ثقيف وحمير، وقوم من قريش، وغوث من اليمن.

قلت: ثقيف وقريش بها إلى اليوم، أما حمير وغوث أو الغوث، فقد تفرَّد عرام بهذا الخبر!

٤٦ ـ ثم يقول: و(مُطَار) قرية من قراها ـ أي الطائف ـ كثيرة الزرع والموز، وتبالة أكبر منها، بينهما ليلتان.

قلت: أما مطار فلا يُعرف اليوم، وما جاء في الشرح عن أبي حنيفة (لعله الدِّينَوَرِي) فهو مبالغ فيه، ولكن ليس هذا همنا.

أما تبالة فلا يمكن قرنها مع الطائف، وقد تقدم ذكرها بعدها، فهي تبعد عن الطائف نحو (٤٥٠) كيلاً، وهي اليوم تابعة لمنطقة أبها، ومعدودة من محافظة بيشة. والقول: إن بينهما ليلتين، خصلة من خصال الجهل، وحتى لو كان يقصد مطار.

والغريب قوله: إن في الطائف موزاً! والموز لا ينبت في المناطق الباردة، ولا الحمضيات، التي ذكرت هنا، ولا يجود النخل في الطائف إلّا في السهول والأودية الممعنة شرقاً لدفئها.

٤٧ ـ ص٤٥١، قال: وفي تبالة قرية يقال لها: (رَنْيَة) وقرية يقال لها: (بيشة).

قلت: في هذا:

أ ـ رَنْية، بفتح الراء المهملة: وادٍ كبير فيه قرى ونخيل، يبعد عن تبالة (٥٠) كيلاً بينها وبين مكة[1].

ب ـ بيشة، إذا ذكرت تبالة اليوم يقال: من نواحي بيشة، فهي ـ أي تبالة ـ تابعة لبيشة، كما قدمنا آنفاً.

٤٨ ـ كتاب عرّام اسمه (أسماء جبال تهامة وسكانها)!

ولكنه في ص٤٥١، يذكر تثليث، ويَبَمْبَم، وعقيق تمرة[2]، وقد عذرناه في الطائف وما حوله، فما بال تثليث وعقيق تمرة؟! وهما ليسا من الحجاز!

عذرتُكِ يا عَيني السَّلِيمة بالبُكا فما لكِ يا عوراء والهملانِ

الخلاصة:

مما يؤكد قولنا: إن عراماً لم يرَ الحجاز ولا مشى فيه، ولا صرح هو بذلك، إنما كان يستروي من الأعراب الذين يفدون عليه، هذا الخلط والغلط،

(١) بين مكة وحضرموت. (٢) في قلب جزيرة العرب.

وتركه أعلاماً ضخاماً مثل: جبل الأشعر وجبل الأجرد، وجمدان، وكرا، وحضن، وغيرها، ومن الأودية: قديداً، وخليصاً، والهدة، والنخلتين، وحنين، ووادي نعمان، وأودية الطائف الشهيرة، كوج وليَّة، والعقيق، وغيرها، والله أعلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.